المحاضرة الحادية عشر: خصائص المعمار الإسلامي.

-خصائص المعمار الإسلامي:

الترغيب في الإعمار وتنظيمه: بما أن إحدى غايات الإنسان في هذا الكون هي إعمار الأرض، كما ورد ذلك في كتاب الله عز وجل " **والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب**" هود الآية 61

كما أن السنة النبوية حثت على الإعمار فجاءت الأحاديث مشجعة ومحددة لذلك كقوانين عقارية مساعدة على تنظيم العمران وتطوره فقال صلى الله عليه وسلم: "**من أحاط حائط على أرض فهي له**" وقال أيضا: " **الأرض أرض الله والعباد عباد الله من أحيا مواتا فهي له**" فهو ترغيب في العمل والعمران، فالملكية لله سبحانه وتعالى في عمومها، فمن أبدى حسن النية في الإعمار والاستثمار وإحياء الأرض بعدما كانت مهجورة أي بور فهي له مكافأة على جهده وعمله، فالله لا يضيع أجر من عمل عملا صالحا.

وحتى لا يكون في الأمر فوضى والتباس فقد حددت السنة ضرورة احترام الغير في هذا المجال بالذات فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " **من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين** " وقال أيضا: " **من أخذ أرض بغير حقها كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر** " وقال كذلك: " **من أخذ من طريق المسلمين شبرا جاء به يوم القيامة يحمله من سبع أرضين** " سعادة العيش: إذا كانت الغاية من العمران هي عبادة الله، وعمارة الأرض فان الهدف بينهما هو تحقيق الرفاهية والسعادة لبني البشر في مأكلهم وملبسهم ومشربهم وحياتهم كلها، ولهذا فان تحديد ماهية السعادة أساس كل عمران، وقاعدة كل تخطيط فقد جاءت السنة النبوية بتحديد ذلك وتبليغه إذ ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله " **أربع من السعادة: المرأة الصالحة المسكن الواسع، الجار الصالح، المركب الهنيء، وأربع من الشقاء الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق**" بمعنى أن المسكن

الواسع الرحب الذي يحقق للإنسان الراحة والسكينة، وهو أحد الأهداف إن لم نقل أهمها في تخطيط العمارة والعمران.

فالمسكن له تأثير مباشر على طبيعة الإنسان النفسية والاجتماعية، فإن كان واسع كان أحد أسباب السعادة والطمأنينة غير أن هذا الاتساع المنشود لا يجب أن يشوبه إفراط فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم " (فراش للرجل، وفراش لامرأته والثالث للضيف، والرابع للشيطان)، وأما إن كان ضيقا فهو تفريط، ويكون واحد عناصر الشقاء للإنسان، فيكون غير محقق للسكون الذي نصت عليها الآيات القرآنية، وغير مهيأ لمشاركة الإنسان في مجال محيط مدينته وبالتالي يفقد الفعل العمراني ماهيته كأداة تخطيط لتحقيق سعادة العيش.

– خاصية الاجتذاب والاطراد للمدينة:

لقد تفطن إلى هذه الخاصية عمراني الغرب وتناولوها في كتاباتهم حيث أكدوا على أن المدينة في حركتها تتميز بخاصية الاجتذاب والاطراد وهذه الخاصية أوضحتها السنة النبوية الشريفة منذ قرون خلت فالمدينة أو القرية كائن حي محدد بالزمان والمكان وله وظائف عدة فخاصية الاجتذاب والاطراد للمدينة تعبير جامع الكثير من الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية متجلية على أرض الواقع في تلك الحركة الدائمة التي تنجذب إليها أفكار وأشخاص ونشاطات وغيرها، نذكر منها على سبيل المثال ظاهرة الهجرة من والى المدينة التي تعتبر إحدى مظاهر التغيير.

فقد جاء في قوله صلى الله عليه وسلم في كتاب الموطأ، (إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها)

حرمة الفضاء في الإسلام: بمعنى أن الفضاء له قوانين وضوابط واجب على الكل احترامها حتى يتمكن هذا الفضاء من أن يؤدي وظيفته على أحسن ما يرام، فالطريق له حرمته، والبيت له حرمته كما ورد في السنة النبوية الشريفة: (**من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقتوا عينه**)، أو كما قال المولى عز وجل في محكم تنزيله في سورة البقرة (يسألونك **عن الأهلة قل هي مواقيت الناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون**) الآية 189. فتعاليم الدين الإسلامي هاهنا بمثابة القوانين التي تحدد سلوك الفرد والجماعة داخل الحيز او الفضاء بحيث يكون للفرد في تصرفاته تحقيق مصلحته ومصلحة الاخرين.

فاستخدام الفضاء في الإسلام مسؤولية تحددها الضوابط الشرعية في هذا المجال وفق مصلحة الفرد والجماعة على السواء.

فحرمة الفضاء هي حرمة لإطاره الفيزيائي وحرمة للأشغال والوظائف التي تجري داخله، واستمرارية هاته الحرمة مدعاة لتكوين شخصية المكان وذاكرته بما يسمح له للانتقال من مرحلة التشكيل والتكوين إلى مرحلة التأثير والتفاعل.

– ذاكرة المكان:

قال النبي عليه الصلاة والسلام **(يا بني سليم دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم)** فالسنة الشريفة أبلغت أن الديار تشهد وتسجل عبر الأزمنة أثار القوم الساكنين، فالمكان له ذاكرة تبقى حية رغم زوال القوم واندثارهم، هاته الذاكرة تكون مستمدة من قوة الحضور العمراني والمعماري داخل النسيج. فكل النشاطات والأعمال التي تجري داخل الحيز وتتكرر فيه تصبح خاصية من خصائصه تشكل مع مر الزمن ذاكرة المكان، فقوة التلاحم بين الفعل وإطاره الفيزيائي يعطي شخصية لذلك الموقع يمتد تأثيرها على مستعملي المكان لفترات زمنية طويلة متعاقبة ويبقي الإطار الفيزيائي لوحده غير قادر على صناعة حركة عمرانية ما لم تكتنفه حركه اجتماعية ثقافية دائمة ومتصلة وكمثال على ذلك ما أقدم عليه أبرهة الحبشي لما أراد أن يغير وجهة القبائل العربية من الكعبة إلى بيت القليس الذي بناه وزخرفه على درجة عالية من الأبهة والعظمة وكان ينتظر أن يجتذب إليه جمع العرب ولكن دون جدوى فقد باء عمله بالفشل وذهبت آماله أدراج الرياح.